

المنهج الإسلامي في رعاية صحة المجتمع

محمد أحمد عمرو عسكر

قسم العلوم التربوية والنفسية-كلية التربية-جامعة طرابلس- ليبيا

DOI: <https://doi.org/10.56807/buj.v5i4.453>

الملخص

هدف البحث إلى التعرف على منهج الإسلام في تحقيق صحة المجتمع وكيفية المحافظة عليها، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. كيف اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحياً والخلية من الأمراض؟ حيث تم تناول العناصر التالية: (الاغتراب في الزواج، سلامة الزوجين من الأمراض).
2. كيف اعتنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟ وفيه تناول البحث ما يأتي: (نظرة الإسلام إلى التداعي والأخذ بالأسباب، عناية الإسلام بالأجسام، الطب الوقائي).
3. كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟ وتم تناول العناصر التالية: (تلوث المياه، تلوث الهواء، تلوث الأرض، التلوث الضوضائي).

الكلمات المفتاحية: المنهج الإسلامي، الصحة، المجتمع.

The Islamic approach to community health care

Abstract

The research aimed to identify the Islamic approach to achieving community health and how to maintain it, by answering the following questions:

(1) How Islam took care of forming a healthy family and free of diseases?

The following aspects were addressed: alienation in marriage, safety of spouses from diseases .

(2) How Islam took care of the body's health and protecting it from diseases?

The research addressed the following: Islam's view of medication and taking reasons into consideration, Islam's care of bodies, and preventive medicine.

(3) How did Islam treat some issues of environmental pollution?

The following aspects were addressed: water pollution, air pollution, earth pollution, and noise pollution.

Keywords: The Islamic Approach, Health, Society.

مقدمة:

لقد اعتنى الإسلام بالحفاظ على الصحة والتربية الغذائية والبدنية، واعتبرت الشريعة الإسلامية حفظ الذات وحفظ الصحة أمراً واجباً على الإنسان، وامتدح الإسلام المؤمن القوي في روحه وبدنه واعتبره خيراً وأفضل من المؤمن الضعيف، ونهى عن كل ما من شأنه أن يضر بالصحة، سواء أكان النهي النهي تحريم أم نهى كراهة، وذلك على قدر الضرر المتوقع، كما دعا الإسلام - في سبيل الحفاظ على الصحة - إلى الاعتدال في كل شيء بما في ذلك الاعتدال في تناول الطعام، ودعا إلى التمسك بالعادات الصحية والغذائية السليمة، وإلى التداعي عند حدوث المرض، وإلى إعطاء البدن حقه من الغذاء والنوم والراحة ومن كل ما يحتاجه، وأقر كثيراً من الحكم الصحية الصائبة مثل " العقل السليم في الجسم السليم "، والوقاية خير من العلاج" وغيرهما، والمسلم الواعي لروح تعاليم دينه يدرك أن كل ما له نفع محقق بالصحة والبدن ولا يوجد في الشريعة نهى صريح عنه هو أمر مرغوب في الإسلام، والصحة الجسمية التي تعتبرها التربية الإسلامية هدفاً من أهدافها الأساسية تعني ضمن ما تعني خلو الجسم من الأمراض البدنية المعدية وغير المعدية، وسلامة أجهزة الجسم الداخلية المختلفة واتزانها وانتظامها في أداء وظائفها، ولياقة وقوة عضلات الجسم ومرونة مفاصله، وسرعة الاستجابة الجسمية للمؤثرات والمثيرات الخارجية، والشعور بالنشاط والحيوية، والقدرة على المثابرة على العمل وعلى تحمل المشاق والمتاعب الجسمية وعلى مقاومة تقلبات الجو والمناخ، وامتلاك الاتجاهات والعادات الصحية السليمة في العمل والنوم والغذاء والملبس والمسكن، والخلو من العادات الضارة صحياً كعادة شرب الخمر والدخان وتعاطي المخدرات وما إلى ذلك. (الشيباني، 1985، 324).

وانطلاقاً من أهمية الصحة البدنية لأفراد المجتمع، ولاهتمام الإسلام بذلك، يأتي هذا البحث للتعرف على المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها.

مشكلة البحث:

عندما يتعرض أحد أفراد الأسرة للمرض، تنعكس حالته على كل عضو في جماعة الأسرة، فيضطرب نظام الحياة اليومية في المنزل، ويتحمل الأعضاء الأصحاء أعباء ومسؤوليات إضافية، وبينما يسبب المرض القصير مشكلات قليلة نسبياً، فإن المرض المزمن يؤدي إلى أضرار بالغة، وفي حالة الأمراض المعدية، والتي يعالج فيها المريض في منزله ينبغي أن يتخذ الأعضاء الأصحاء احتياطات وقائية، حتى لا تنتقل العدوى إليهم، مما يزيد من الأعباء والقلق لدى باقي أفراد الأسرة الأصحاء، أضف إلى ذلك زيادة الأعباء الاقتصادية التي تتحملها الأسرة نتيجة إنفاقها على أجر

الأطباء، وثمان الدواء، والطعام الخاص ببعض الأمراض، وكرم الضيافة ومصاريف الانتقال في حالة علاج المريض بالمؤسسة الطبية، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد يقل الدخل لانقطاع رب الأسرة المريض عن العمل، فتعاني الأسرة آثار الحرمان. (المليجي، 2002، 138).

وينعكس هذا التأثير بالتالي سلباً على المجتمع ككل مما يؤدي إلى تراكم المشكلات المختلفة بين أفراد، لذلك فقد حرص الإسلام على سلامة الفرد والأسرة والمجتمع صحياً، ووضع لذلك التشريعات والضوابط والمعايير التي ينبغي اتباعها في شتى تفاعلاتنا مع البيئة ابتداء من تكوين الأسرة وحتى معالجة قضايا التلوث البيئي؛ حتى يتمتع أفراد المجتمع جميعهم بالصحة والعافية، فيزداد الإنتاج ويعم الرخاء والرفاهية، واتساقاً مع ما سبق، وإسهاماً من الباحث في سدّ النقص الحاصل في الكتب والمطبوعات والبحوث والدراسات حول موضوع هذا البحث، يأتي هذا البحث للتعرف على المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما هي ملامح المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

- 1- كيف اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحياً والخلية من الأمراض؟
- 2- كيف اعتنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟
- 3- كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على منهج الإسلام في تحقيق صحة المجتمع وكيفية المحافظة عليها.

أهمية البحث:

يعد هذا البحث تذكيراً بحكمة ديننا الإسلامي وصلاحيته لعلاج شتى القضايا التي تحدث للمجتمع، وفي كل زمان ومكان.

منهج البحث: المنهج الوصفي.

مصطلحات البحث:

المنهج الإسلامي:

يعرفه الباحث إجرائياً بأنه " كل ما ورد في الكتاب والسنة من أوامر وتوجيهات لتحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها، وما انبثق عن ذلك من أنظمة وأساليب تنبأها المسلمون لتحقيق ذلك".

الصحة:

هي " النمو السليم للفرد بدنياً وعقلياً واجتماعياً وخلو جسمه من الأمراض". (أسعد، 2008، 9).

المجتمع:

" إطار عام يُحدد العلاقات التي تنشأ بين جمع من الأفراد يستقرون في بيئة معينة تنشأ بينهم مجموعة من الأهداف والرغبات والمنافع المشتركة المتبادلة، وتحكمهم مجموعة من القواعد والأساليب المنظمة لسلوكهم وتفاعلاتهم". (سعادة، 2004، 103)

الإجابة عن أسئلة البحث:

الإجابة عن السؤال الأول: كيف اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحياً والخلية من الأمراض؟

لقد اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة الخالية من الأمراض أيما عناية، ووضع لذلك العديد من الضوابط نذكر منها:

أولاً: الاغتصاب في الزواج:

من توجيهات الإسلام تفضيل المرأة الأجنبية عن الرجل على النساء اللاتي من نسبه أو أقاربه؛ حرصاً على نجابة الولد وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية أو العاهات الوراثية، وهذا ما أثبتته علم الوراثة فيما بعد أن الزواج بالأقارب يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم والذكاء. (أحمد، 1992، 46).

وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله " لا تُنكِحُوا الْقُرَابَةَ الْقُرْبِيَّةَ؛ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِئاً ". (أي نحيفاً). (ابن الملقن، 1411هـ، ج 7، 499)، وقال الإمام الشافعي: (أَيُّمَا أَهْلٍ بَيْتٍ لَمْ تَخْرُجْ نِسَاؤُهُمْ إِلَى رَجَالٍ غَيْرِهِمْ كَانَ فِي أَوْلَادِهِمْ خُمْقٌ). (العسقلاني، 1995، ج 3، 304).

ويبقى التعريب والاعتصاب في الزواج من الأمور التي تؤدي إلى سلامة النسل والنشاء فهي من قبيل الطب الوقائي في الإسلام. (مارديني، 2007، 115).

ثانياً: سلامة الزوجين من الأمراض:

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ وَانْكَحُوا الْأَكْفَاءَ وَانْكَحُوا إِلَيْهِمْ)، فالحديث يطلق بحيث تدرج تحته سلامة الزوجين من الأمراض المعدية الوراثية. (ابن ماجه، ج 3، 2009، 115).

ثالثاً: تربية الأطفال:

اهتم المنهج الإسلامي في تربية الأطفال لتحقيق الرعاية الصحية لهم بالعديد من الحقوق التي ينبغي تأمينها للطفل، لعل أهمها ما يأتي:

1- حق الرضاع:

لم تحفل شريعة من الشرائع الإلهية كانت أو وضعية بمثل ما حفلت به الشريعة الإسلامية بشأن حق الرضاع للطفل، ويتجلى ذلك في الإقرار بهذا الحق صراحة في نص قرآني كريم، وفي تحديد المدة التي يستحقها الطفل في الرضاع قال

الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. (البقرة، من الآية 231).

ولقد أكدت الدراسات الطبية الحديثة بعد طول بحث وتجريب أهمية الرضاعة الطبيعية لصحة الطفل ونموه، وتحصينه ضد الأمراض، حيث إن حليب الأم يلائم معدة الرضيع وقابلية الهضم فيها، فهو قد خلق لتغذية الرضيع وحسب حاجاته ومتطلباته الغذائية، كما أن هناك فوائد عديدة تعود على الأم المرضع كذلك؛ إذ أثبتت الدراسات الحديثة أن الأمهات المرضعات أقل تعرضاً للإصابة بسرطان الثدي، ويؤكد تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة اليونيسيف على الحقائق سالفة الذكر إذ جاء فيه " إن تشجيع الرضاعة الطبيعية في العالم الثالث من شأنه أن ينقذ حياة ما يقرب من 1.5 مليون رضيع سنوياً. (أبو قندش، 2005، 87).

2- الختان:

شرع الإسلام الختان وجعله من سنن الفطرة، وقد عدد الفقهاء ومعهم الأطباء فوائد كثيرة لاختتان الرجل، منها ما هو شرعي، كإتباع فطرة الله، والامتثال لأوامره، وتميز المسلم عن الملل الأخرى، ومنها ما هو صحي، كالنظافة وتعديل الشهوة، والتخلص من المفرزات الدهنية، وتجنب الإصابة ببعض الأمراض. (أحمد، 1992، 68).

الإجابة عن السؤال الثاني: كيف اعتنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟

أولاً: نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل شيء سبب فالأمراض التي تصيب الإنسان لا بد لها من أسباب، فإذا أردنا التخلص من هذا المرض كان لا بد من معرفة سببه وإزالة هذا السبب، وبذلك يزول المرض ويعود الإنسان سليماً معافى لانتظام الترابط بين الأسباب والمسببات، حيث ربط رسول الله بين المرض والعلاج أنه لا يوجد مرض إلا وله علاج ولا يوجد داء إلا وله دواء، فقال صلى الله عليه وسلم " لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل". (النيسابوري، 2010، 779).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء". (البخاري، 2001، 1059).

يعني ذلك أن الله تعالى حين قدر الداء قدر له الدواء، وأن المريض إذا أخذ الدواء متبعاً شرائط تناول الدواء فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، وأن عدم وصول الأطباء إلى معرفة بعض الأدوية لبعض الأمراض المستعصية لا يعني أنه لا علاج لها على الإطلاق، لكن قدرات الأطباء والعلماء المختصين لم تتوصل إلى كشف الدواء المناسب لها. (أبويحي، 2001، 156).

ثانيا: عناية الإسلام بالجسم:

عنى الإسلام عناية كبيرة بالجسم، وتتمثل هذه العناية في جوانب متعددة، نذكر منها ما يأتي:

1- النظافة:

شرع الإسلام النظافة ودعا إليها في مواقف كثيرة منها: الوضوء، والغسل، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده، وبعد الاستيقاظ من النوم لأن الإنسان لا يعلم أين باتت يده أو أين أصبحت، ونظافة الفم والأسنان، وذلك باستعمال السواك في مواقف متعددة، كما حث الإسلام على نظافة الرأس وتكريمه والعناية به، بغسله وتسريحه، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم التاركين شعورهم دون عناية أو رعاية بالشياطين في هيتهم، كما حث الإسلام على لبس الثياب النظيفة والاهتمام بزينة المسلم، ولا شك أن الثياب النظيفة لها فوائد عديدة منها حفظ الصحة وكرامة من يتجمل بها في نفوس الناس، وإظهار نعمة الله تعالى على لابسها. (أبو يحيى، 2001، 158).

ويتجلى ذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَافِلَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. (البقرة، من الآية 220)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم "الطهور شطر الإيمان". (النيسابوري، 2010، 93).

وقوله صلى الله عليه وسلم "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب". (البخاري، 2001، 350).
وقوله صلى الله عليه وسلم "حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده". (البخاري، 2001، 169).

2- الرياضة:

عنى الإسلام بالرياضة لأنها تعطي الجسم قوة وحيوية والمسلم مطلوب منه أن يكون قويا في بدنه، حتى يقوم بحق الله عليه في الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرمي والسباحة وركوب الخيل والجري ونحو ذلك من أنواع الرياضة التي تمثل القوة في ذلك الزمان وما تزال. (أبو يحيى، 2001، 158).
وقد وردت العديد من الآثار النبوية التي تؤكد على أهمية الرياضة البدنية كقوله صلى الله عليه وسلم "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا". (البخاري، 2001، 533).

3- عناية الإسلام بالجسم عن طريق الرخص:

الرخصة في اللغة خلاف التشديد. (الرازي، 1976، 238).
وأما في اصطلاح الأصوليين فهي الأحكام التي شرعها الله تعالى بناء على أعذار العباد ورعاية لحاجتهم. (شعبان، 1979، 244).

إن الإتيان بالرخص وإن كان أمرا تعبديا إلا أن فيه حكمة أخرى وهي المحافظة على صحة المسلم، وإبعاده عن الأمراض وتشمل الرخص المرأة والرجل على السواء، ومن

هذه الرخص على سبيل المثال لا الحصر التيمم لفقد الماء أو فاقد القدرة على استعماله، والفطر في رمضان للمسافر والمريض.

4- عناية الإسلام بالجسم عن طريق جعل التكاليف قدر الطاقة:

من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أنه حين كلفه بالعبادات أو بأي أمر من أمور الدين والدنيا لم يكلفه فوق طاقته، ولم يفرض عليه شيئا لا يستطيع القيام به، ولم ينهه عن أمر لا يستطيع الانتفاء عنه، قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (البقرة، من الآية 258).

ومن رحمة الله تعالى بعباده جعله العبادات ميسرة لا إرهاق فيها ولا ضرر يلحق بصحة الإنسان المسلم وبدنه. (أبو يحيى، 2001، 158).

5- عناية الإسلام بالجسم عن طريق توجيهه لتناول بعض الأغذية المفيدة:

لقد ورد في الكتاب والسنة عديد التوجيهات إلى تناول العديد من الأغذية المفيدة للجسم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ- **العسل:** ثبت علمياً أن بالعسل مواد تقتل الجراثيم التي تسبب النزلات المعوية والإسهال. (إبراهيم، 2002، 50)، وتأكيذا لما ورد في القرآن الكريم عن القيمة العلاجية والغذائية لعسل النحل الذي وصفه ربنا عز وجل بأنه ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾. (النحل، من الآية 69). ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستشفاء بعسل النحل فعن أبي سعيد قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال "إن أخي استطلق بطنه، فقال: اسقه عسلا، فسقاه ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اسقه عسلا، قال: فسقاه، ثم جاء فقال: يا رسول الله إني قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقه عسلا، فسقاه عسلا فبرأ". (الترمذي، ج 4، 1975، 409).

ب- **التمر:** غذاء غني بالفيتامينات والمعادن، ويعطي الكيلوجرام منه القيمة الغذائية والحرارية نفسها التي يعطيها كيلوجرام من اللحم. (مارديني، 2007، 606)، وورد ذكره في قوله تعالى ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ إِلَٰكُ الْجُدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا﴾. (سورة مريم، الآية 24).

وللتمر فوائد كثيرة منها أنه ترياق ضد السموم يقول النبي صلى الله عليه وسلم "من تصبّع سبع تمرات عجو، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر". (البخاري، 2001، 1072).

ج- **الحبة السوداء:** ذكر الأطباء العرب القدامى الحبة السوداء وفوائدها الصحية في علاج الكثير من الأمراض، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فيقول "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام". (البخاري، 1060، 2001)، ويأتي

يساعد على سرعة تكاثر الجراثيم ويعمل على سرعة عمليات التعفن، فتفرز الجراثيم سمومها في لحم الميتة، وسرعان ما يصير جسم الحيوان الميت وكأنه مزرعة للجراثيم الضارة وسمومها القاتلة، فلو أكل الإنسان من لحم الميتة فكأنه تناول سمومها. (إبراهيم، 2002، 13).

كما حرم الله تعالى أكل لحم الخنزير، وقد أظهرت البحوث الحديثة أن تناول لحم الخنزير عسر الهضم جدا، لأن لحمه مكون من ألياف عضلية طويلة يجمعها نسيج ضام كثير الدهون، وكلما طالت الألياف العضلية كلما كان هضمها عسرا، وكلما كثرت الدهون كلما كان هضمها عسرا، وأن الطفيليات التي تصيب الإنسان بالأمراض تجد لها في جسد الخنزير مرتعا خصيبا، وعادات الخنزير القدرة في تناول الطعام جعل الكثير من الطفيليات تسكن فيه، ويشترك الخنزير مع بعض الحيوانات الأخرى في نقل الأمراض الطفيلية والبكتيرية للإنسان، إلا أن الخنزير ينفرد بنقل بعض الأمراض الخطيرة للإنسان ولا ينقلها للإنسان غيره مثل: مرض الديدان الشعرية الحلزونية *Trichinella Spiralis*، ومرض الدودة الشريطية الخنزيرية *Taenia Solium*. (إبراهيم، 2002، 19).

2- النهي عن الإسراف في تناول الأطعمة والأشربة الحلال وقاية للمسلم، وطالب بالاعتدال والوسطية لأن المعدة في الإنسان هي بيت الداء، قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ). (الأعراف، من الآية 29). كما قال صلى الله عليه وسلم " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلْبَه، فإن كان لامحالة فتلث لطحامه وتلث لشرايه وتلث لنفسه". (الترمذي، ج4، 1975، 590).

3- كيفية التعامل مع إفرازات الجسم: هذه الإفرازات التي يفرزها جسم الإنسان إذا لم تراعى فيها نظم الإسلام كانت وبالا على الجسم وعلى المجتمع من حوله، وتجلب له وليبئته الأمراض المختلفة التي قد تفتك بالناس ومن هذه الإفرازات ما يأتي:

أ- البول والبراز:

وهما من المستقذرات التي يفرزها جسم الإنسان وفيهما من الطفيليات ومسببات المرض الشيء الكثير، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنظيف من البول والغائط بالماء، أو الحجارة، أو ما يقوم مقامهما، ونهى عن البول والبراز في الماء الراكد والجاري، أو في طريق الناس أو في مكان يستظلون به؛ لأن رائحتهما تؤذي الناس فضلا عما يسببه البول والبراز لهم من أمراض ناشئة عن الجراثيم الموجودة فيها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية في أهل قباء (فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّبِعَهُمُ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لَهُمْ) (البقرة، الآية 178).

الطب الحديث يؤكد على ذلك فبيّن أن الحبة السوداء تعمل على رفع مناعة الجسم. (مارديني، 2007، 613).

د- زيت الزيتون: الزيتون من الأشجار المباركة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فتارة أقسم الله بها كما في سورة التين، وتارة أخرى أشار إلى صفاء زيتها، وتارة أخرى ذكرها في معرض الفضل والمنة على عباده بإنباتها وإثمارها لهم مع جملة من أشجار الفاكهة والثمار والغذاء، وقد أثبت العلم الحديث الفوائد الكثيرة لزيت الزيتون. (مارديني، 2007، 617)، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالزيتون خيرا فقال " كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدْهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ". (الترمذي، ج4، 1975، 285).

هـ- الكمون (السنت): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بالسنا والسنت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام". (ابن ماجه، ج4، 2009، 511)، وكشف الطب الحديث مؤخرا، أن الكمون أو السنت له فوائد عديدة منها: مضاد للتشنج، وعلاج المغص الكلوي، وعسر الطمث، وملين وطارد للغازات. (مارديني، 2007، 620).

و- الحلبة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو تعلم أمتي ما في الحلبة لأشتروها ولو بوزنها ذهباً". (الطبراني، ج20، 1983، 96).

والعلم الحديث في اكتشافاته الطبية الحديثة يؤكد فائدة الحلبة لجسم الإنسان. (مارديني، 2007، 621).

ز- الزبيب: يحتفظ الزبيب بأكثر خواص العنب الطازج خاصة الفيتامينات والمعادن، ويمد الجسم بفوائد تزيد مقاومته ومناعته ضد كثير من الأمراض، وبه مقدار عال من البوتاسيوم والكالسيوم وسكر العنب، ويعد منشطا لوظائف الكبد، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كلوا بسم الله نعم الطعام الزبيب، يَشُدُّ الْعَصَبَ، وَيُذْهِبُ الْوَصَبَ، وَيُطْفِئُ الْغَضَبَ، وَيُطَيِّبُ النَّكَهَةَ، وَيُذْهِبُ الْبَلْغَمَ، وَيُصْفِي اللَّوْنُ". (الأصبهاني، ج2، 2006، 719).

ثالثا: الطب الوقائي:

إن الإسلام حين وضع أسس الطب الوقائي صبغ ذلك بصبغة دينية حتى يتمسك المسلم بها تمسكا قويا ويعمل بها لأنها صادرة عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأسس ما يأتي:

1- تحريم الله مجموعة من الأطعمة والأشربة لأن فيها أضرارا جسدية ونفسية واعتقادية على الإنسان المسلم، وقد أكد الطب الحديث على أضرار هذه المحرمات على صحة الأجسام قال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ مِنَ الْمُخْنَقَةِ وَالْمَوْقُذَةِ وَالْمُتَرَدِّئَةِ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ). (المائدة، من الآية 4).

لقد أكد العلم الحديث أن أكل الميتة يؤدي إلى أضرار كثيرة بصحة الإنسان، فوجود الدم الذي لم يُصَفَّ من الجسم بالذبح

(التوبة، من الآية 9)، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا نتبع الحجارة الماء. (الهيتمي، ج 1، 1992، 262).

ب- دم الحيض:

كان من عادة اليهود أنهم لا يؤاكلون الحائض والنفساء ولا يلمسونها ولا يتحدثون معها؛ لأنها في نظرهم نجسة تجب مقاطعتها، ولما جاء الإسلام وسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم التعامل مع الحائض والنفساء، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلوا كل شيء مع نسائهم إلا الجماع، ومن يأتي امرأته زمن الحيض أو النفاس يكون عاصياً لله تعالى، ومتعدياً لحدوده، وقد أثبت الطب الحديث الأضرار الجسمية والنفسية التي تلحق بالرجل والمرأة على السواء في الجماع وقت الحيض أو النفاس قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ﴾. (البقرة، من الآية 220).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما يجلي لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: " لك ما فوق الإزار". (ابن الأشعث، 2010، 39).

وقال صلى الله عليه وسلم: " اصنعوا كل شيء إلا النكاح". (النيسابوري، 2010، 112).

4- أكد المنهج الإسلامي على أهمية الحجامة للوقاية والعلاج من بعض الأمراض، وهي وإن كانت ظاهرة طبية وعلاجية قديمة العهد عند الفراعنة والإغريق القدماء، إلا أنها لم تلق الاهتمام الكبير عند العرب ولم تزدهر عندهم إلا في ظل الإسلام، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاهما الطابع المتميز من جميع المظاهر والظواهر العلاجية والطبية، كيف لا، وقد جعلها من قبيل الطب الملائكي بقوله " مَا مَرَزْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي بِمَالٍ إِلَّا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مُرْ أُمَّتُكَ بِالْحِجَامَةِ". (ابن ماجه، ج 6، 2009، 2773).

والأحاديث الصحيحة التي جاءت في الحجامة كثيرة جداً كلها تؤكد على أهمية الحجامة في الوقاية والعلاج من كثير من الأمراض، ومن هنا كانت شهرة الحجامة من وحي وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتاريخ ارتقائها وازدهارها نشأ وذاع صيته منذ بعثته عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا.

5- كيفية التعامل مع بعض الأمراض المعدية: لقد عالج الإسلام هذه القضية ووضع ما يسمى في العصر الحديث بالحجر الصحي حيث قرر أن المرض المعدي إذا ظهر في منطقة من المناطق يلزم القيام بأمرين:

منع الخروج من المنطقة الموبوءة إلى منطقة أخرى حتى لا تنتقل العدوى من هذه المنطقة إلى المناطق الأخرى فينتشر المرض ويعم كثيراً من الناس.

منع دخول الناس إلى المنطقة الموبوءة حتى لا تنتقل العدوى إلى الناس خارجها. (أبو يحيى، 158، 2001).

ونجد قواعد الحجر الصحي التي وضعها الإسلام في جملة أحاديث شريفة من جملتها الحديث عن كيفية مواجهة هذا الوباء، فقد جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فلما جاء سرع، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، فرجع عمر من سرع. (النيسابوري، 2010، 785).

6- كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على استعمال العديد من الأشياء التي تقي من الأمراض كحبه على الكحل بالإثمد، فعن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البسوا من ثيابكم البيضاء فإنها من خير ثيابكم، وكفّوا فيها مواتكم، وإن خبر أكحلكم الإثمد، يجلو البصر، ويثبت الشعر". (ابن حنبل، ج 4، 2001، 94).

الإجابة عن السؤال الثالث: كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟

من الأنظمة البديعة التي اتبعتها المسلمون نظام الحسبة، الذي بدأ منذ عهد النبوة وفي عصر الخلفاء الراشدين، ولا سيما في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، ثم نما واتسع في العصور التالية خصوصاً في عهد العباسيين، وهو نظام يجمع بين الإرشاد والرقابة والقضاء والتفويض، وقد وزعت اختصاصاته في عصرنا على عدة دوائر أو وزارات أو مؤسسات، ومن الكتب التي صدرت في هذا الأمر كتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) للإمام عبد الرحمن بن نصر الشيرازي المتوفى سنة (589)، ومما ذكره هذا الكتاب في شأن المراقبة على الخبازين ما ملخصه: ضرورة رفع أسقف الحوانيت وأن يصمم فيها منافذ لتسريب الدخان حتى لا يتضرر الناس، وأن يقوم الخباز بمسح الفرن بخرقه نظيفة قبل وضع العجين فيه، وأن تنظف أوعية العجين جيداً بالماء، وألا يعجن العجّان برجليه الدقيق لأن في ذلك مهانة للطعام، وأن يضع العجّان على فمه كمادة حتى لا يعطس في العجين، وأن يشد على جبينه عصاية حتى لا يسقط عرقه أثناء العجين، وأن يُخصص له شخص بمنشأة حتى يطرد عنه الذباب إذا كان يعجن بالنهار. (المفتاح، 2009).

ويتفقد المحتسب الطباخين عند الغدو والعشي، فأما في الغدو فيقف على اللحم لئلا يكون لحماً رديناً، وأما العشي فلئلا تبقى لهم بقية فيفردوا عليها غيرها، ويخطونها ثم يعيدون طبخها فتنت رائحته ويفسد طعمه، ويؤمرون بتنظيف الرحاب، وتغطية القدور وطرد الذباب عنها، وغسل الأواني بالماء الساخن، وأن لا يخلطوا لحوم الماعز بلحوم الضأن ولا لحوم الإبل بلحوم الأبقار لئلا يأكلها من به مرض فيكون سبباً

خالية من الميكروبات والطفيليات التي تنتقل عن طريق الفم، أو التي تسبب أمراض العيون وخلافه.

3- النهي عن التنفس في إناء الشرب وعن النفخ فيه، لمنع تغيير رائحة الإناء، ووصول لعاب الإنسان ورذاذ فمه، وما يمكن أن يحمل من جراثيم ممرضة حتى لو كان حاملها صحيحا غير مريض، فإذا كان الشارب شديد العطش لا يرتوي بتنفس واحد، فليبعد الإناء عن فمه ليتنفس ثم ليعد للشرب، وذلك مفضل من الناحية الصحية، قال صلى الله عليه وسلم " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإذا أراد أن يعود فليُنحِ الإناء ثم ليُعِيد إن كان يُريد ". (ابن ماجه، ج2، 2009، 1113). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُنْفَسَ في الإناء أو يُنْفَخَ فيه ". (ابن الأشت، 2010، 626).

ومن المفيد صحياً أن يعتاد الإنسان الشرب على ثلاث دفعات، يتنفس في نهاية كل دفعة كما هي السنة النبوية، وذلك حفظاً للماء وأبعد عن التنفس فيه، وأسهل انسياغاً فلا يشق، وأكثر رياً للشارب فيأخذ الماء مع تقطيع الشرب أقل مما لو تجرعه دفعة واحدة، وذلك أسلم من مرض أو أذى يحصل بسبب الشرب في نفس واحد، لأن الشارب إذا اعتاد الشرب بنفس واحد وأسرف في تناول الماء أدى به إلى أمراض منها توسع المعدة وإلى اضطرابات الهضم، كما أن تجرع المتعرق للماء البارد دون تقطع يؤدي أحياناً إلى التهابات في الحنجرة والقصبات الهوائية. (الخطيب، 2002، 44).

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من السقاء والقربة ومنع التنفس في الإناء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من قم القربة أو السقاء ". (البخاري، 2010، 1050).

4- الأمر بتغطية الإناء وربط سقاء الماء حتى لا يصل إليه الغبار ولا الحشرات المؤذية، والحاملة للجراثيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وغلقوا الأبواب وأكوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب ولو بعود تعرضه عليه ". (البخاري، 2010، 1049).

5- النهي عن الاغتسال في الماء الراكد الذي لا يجري، حتى لا يتلوث بما يكون على سطح الجسم من أوساخ وجراثيم ومفرزات والتي يمكن أن تنقل الأمراض إلى الإنسان، فعن بكير بن الأشج، أن أبا السائب مولى هشام بن زهرة، حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يَغْتَسِلُ أحدكم في الماء الدائم، وهو جُنُبٌ، فقال كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال يَتَّوَلَّهُ تَتَّوَلَا ". (النيسابوري، 2010، 108).

لنكسته، ومن أجل المحافظة على صحة المجتمع فإن على المحتسب أن يلاحظ الحيوانات المهيأة للذبح، فإذا وقع عند أحدهم بهيمة مريضة أو متغيرة اللون منعه من بيعها، ويأمر كل واحد منهم إذا فرغ من بيع اللحم أن يأخذ ملحاً مسحوقاً وينشره على القرمة التي يقطع عليها اللحم لئلا يُدَوَّدَ في زمن الحر، أما السمك فعلى المحتسب أن يتخذ لبياعي السمك مكاناً يكون فيه سوقهم بمعزل عن الطريق تفادياً لرائحته، ويلزمون بتنظيف الساحة ويمنعون عن تمليح البائت منها لتولد العفونة فيه، ولا يقلوه بزيت رديء، ويؤمرون بغسل مقاليلهم ومسحها وتنظيفها، ورمي السمك الفاسد على المزابل خارج البلد، ويعاقب كل من فعل فيهم غير ما حدد له، أما الحسبة على اللبنانيين فيلزموا كل يوم بغسل الأواني بمسواك الليف الجديد والماء النظيف، لئلا يسارع إليه الفساد في زمن الحر، وتغطية الأواني بأغطية جيدة حرصاً على منع الذباب فإنه يكثر حول اللبن، أما الحسبة على الشرابين فيلزمهم المحتسب أن يكون تحت أيديهم ماء لطيف، ويكون معهم المذبة لئلا يقعد على الكوز أو على الوعاء الذباب، وكذلك الكيزان إذا عتقت وتغيرت رائحتها يأمرهم أن لا يرجعوا يستعملونها، ويغيروا قصديرها في كل ثلاثة أشهر. (السامرائي، 2005، 252).

وقد عالج الإسلام قضايا التلوث البيئي الرئيسة المتمثلة في تلوث المياه، وتلوث الهواء، وتلوث الأرض، والتلوث الضوضائي كما يلي:

أولاً: تلوث المياه:

يعرف التلوث في المياه بأنه " زيادة الخواص الكيميائية أو الفيزيائية أو البيولوجية بتركيز أو بصفة تجعل من الماء ضاراً بالإنسان، أو الأحياء المائية أو بالملكات ". (السعدي، 2008، 394).

في المنهج الإسلامي وصايا وضوابط تحفظ المياه من التلوث نذكر منها ما يأتي:

1- النهي عن إدخال المستقيظ من النوم يده في الإناء قبل أن يغسلها أو يطهرها، فلعنه مس أو حك سواته أو عضوا مريضاً متقرحاً من جسمه وهو نائم، وبذلك يلوث الإناء وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده ". (النيسابوري، 2010، 106).

2- عدم استعمال اليد اليمنى في مجالات الأقدار والتلوث، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت " كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى ". (ابن الأشت، 2010، 12).

خصص الشارع الحكيم اليد اليمنى للشراب والطعام والمصافحة أو أمراً يستدعي تناول القرآن الكريم والأشياء المحترمة، فتبقى اليد اليمنى في قمة النظافة صالحة لطعامه

6- النهي عن التبول في الماء:

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ". (البخاري، 2010، 60). إن تلوث الماء ببول الإنسان، قد يكون واسطة للعدوى بداء البلهارسيا وبأمراض الجراثيم المطروحة مع البول، وغيرها من الأمراض الطفيلية، كما اثبت الطب الحديث.

7- النهي عن التبرز في الماء:

قال صلى الله عليه وسلم: " اتَّقُوا الْمَلَأَيْنِ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ". (ابن الأشعث، 2010، 11).

إن تلوث الماء ببراز الإنسان يكون واسطة للعدوى ببعض الأمراض عن طريق شربه، أو تناول ما تلوث به، أو عن طريق الانغماس فيه، أو الاغتسال منه، وذلك لاحتوائه الجراثيم المسببة للأمراض كالقوليرا، كما أشار الحديث إلى النهي عن التغوط في طرق الناس حتى لا يتسبب لهم الأذى، وكذلك التغوط في أماكن الظل وفي هذا بالإضافة إلى حرمان الناس من الجلوس في أماكن اعتادوا أن يستريحوا فيها، إشارة مهمة إلى الناحية الصحية، لأن أماكن الظل لا تتعرض إلى أشعة الشمس القوية بما فيها من خصائص قاتلة للجراثيم، وإن الظل يحافظ على الرطوبة اللازمة لحياة يرقات الديدان ومنها الدودة الشريطية.

إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الملاعن الثلاث، ومنها التبرز في الماء، والنهي للتحريم، كما أن اللعن لا يكون إلا على فعل محرم، ومن هنا يجب البعد عن التبول والتبرز في الماء، حيث لا يؤدي ذلك إلى تلوث المياه بالطفيليات والروائح الكريهة فحسب، بل يتسبب ذلك في استهلاك الأوكسجين الذائب في المياه مما يؤثر في حياة الكائنات التي تعيش فيه.

لما كان التلوث المائي يتسبب في الأمراض للإنسان، وفي حالات كثيرة في إزهاق الأرواح وفي قتل الأحياء، فإن درء هذا التلوث واجب وفقاً للقواعد الفقهية " ما أدى إلى حرام فهو حرام"، " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح". وكذلك " لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ". (الخطيب، 2002، 44-48).

ثانياً: تلوث الهواء:

يعرف تلوث الهواء بأنه " إدخال مباشر أو غير مباشر لأية مادة في الغلاف الجوي بالكمية التي تؤثر على نوعية الغلاف الجوي الخارجي وتركيبته، بحيث ينجم عن ذلك آثار ضارة على الإنسان والبيئة والأنظمة البيئية والموارد الطبيعية، وعلى إمكان الانتفاع من البيئة بوجه عام". (شحاتة، 2002، 64). إن حماية الهواء من الملوثات في المنهج الإسلامي يُعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة؛ لما فيه من المحافظة على مقاصد

الشريعة الإسلامية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل.

وقد وقف فقهاء المسلمين القدامى من موضوع تلوث الهواء موقفاً طيباً يدل على وعي كبير بأهمية المحافظة على الهواء من الملوثات المختلفة التي تؤثر في صحة الإنسان، وتتسبب في هلاك الزرع والنسل.

وسوف نكتفي هنا بعرض موقف الفقهاء من قضية تلوث الهواء بالأدخنة والروائح للتدليل على وعيهم البيئي.

1- موقف الفقهاء من التلوث بالدخان:

اعتبر فقهاء المسلمين الدخان بكل أنواعه مضرراً، فقد جاء في وصفه في القرآن الكريم بأنه (عذاب أليم)، وذلك في قول الحق عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ *يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (الدخان، 9-10).

ويخضع الحكم على مدى الضرر الناتج من التلوث بالدخان إلى مصدره، والفقهاء من أتباع الإمام مالك يصنفون الضرر إلى صنفين: ضرر قائم، وضرر مستجد.

أما الضرر القائم فينقسم إلى:

أ- أضرار ناتجة من أنشطة استقرت في منطقة ما قبل غيرها من الإشغالات، ويجمع الفقهاء على إبقاء مصادر هذه الأضرار لأحقيتها على غيرها، لأنها ضرر دُخل عليه.

ب- أضرار ناتجة من أنشطة بدأت في منطقة سكنية، أي بعد استقرار الجيرة المحيطة بها، ومضى عليها وقت طويل قبل أن يشكو منها سكان المنطقة.

وتحكم هذه الحالة قاعدتان:

الأولى: وقف الأنشطة المسببة للتلوث إذا كان ما ينتج عنها يؤدي إلى حدوث إتلاف وضرر شديد.

ومن أمثلة الأدخنة التي ذكرها الفقهاء في هذا المقام: دخان نار الحمامات والأفران.

الثانية: الإبقاء على الأنشطة المسببة للتلوث إن كان الضرر الناتج عنها ضئيلاً، ويمكن التكيف معه، مثل دخان المخابز والدخان الناتج عن مطابخ البيوت.

وتوضح الأمثلة التالية هذه الأحكام:

1- سئل ابن القاسم عن أحقية جيران أحد الأفراد، أراد أن يبني حمماً وفرناً وطاحوناً فوق أرض فضاء، أن يمنعوا إقامتها، فأفاد بحقهم في ذلك، أي في منعه، ما دام سيسبب لهم هذا العمل ضرراً بليغاً، طبقاً لأحكام الإمام مالك الذي أوصي بمنع الأذى عن الجيران.

2- سئل ابن القاسم أيضاً عن حداد أراد أن يبني كوراً وفرناً لصهر الذهب والفضة، أو يحفر بئراً أو مرحاضاً، أو يبني طاحوناً قرب حائط الجيران فأفتي أن من حق الجيران منعه لما يسببه لهم من ضرر.

3- ذهب ابن القاسم إلى أن الأدخنة المنبعثة من المخابز تعتبر ضرراً بسيطاً يمكن التكيف معه.

ثالثاً: تلوث الأرض:

يقصد بتلوث الأرض " الفساد الذي يصيب الأرض فيغير من خواصها الطبيعية، أو الكيميائية، أو الحيوية، أو يغير من تركيبها بشكل يجعلها تؤثر سلباً بشكل مباشر أو غير مباشر على من يعيش فوق سطحها من إنسان وحيوان ونبات ". (شحاتة، 2002، 115).

ولقد تضافرت النصوص التي تنهى عن تلويث الأرض والإفساد فيها، حيث إنها موطن الإنسان وغيره من الكائنات الحية، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. (المائدة، من الآية 34).

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسبب في وقوع الضرر وإلحاقه بالآخرين، فقال صلى الله عليه وسلم " لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ ". (ابن ماجه، ج 3، 2009، 432).

ولا شك أن تلوث التربة ضرر يحيق بالبيئة الزراعية، وينتقل أثره إلى كل الكائنات الحية التي تعتمد في غذائها على النبات بما في ذلك الإنسان نفسه.

تحض السنة النبوية علي التعامل مع البيئة بصورة نظيفة وتتنوع من إلقاء الفضلات أو الأذى الذي يؤثر في نظافتها ونقاها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ " قالوا: وما اللَّعَّانَانِ يا رسول الله قال: " الذي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ ". (النيسابوري، 2010، 103).

وكما نهى صلى الله عليه وسلم عن تلويث مصادر المياه أو قضاء الحاجة في طريق المارة، شدد على من يقطع أو يحارب الخضرة، فعن عبد الله بن حُشَيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ ". وسئل أبو داود عن معنى الحديث فقال هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار ". (ابن الأشعث، 2010، 869).

كذلك حض صلى الله عليه وسلم على تشجيع الثروة النباتية بما يؤدي إليه ذلك من إصلاح في البيئة وحياة الكائنات، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ". (البخاري، 2010، 418).

وقال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ". (الترمذي، ج 3، 1975، 655).

وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على زراعة الأرض وتشجيرها، فقال: " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ ". (ابن حنبل، ج 20، 2001، 296).

أما فيما يخص الأضرار التي تنتج من مصادر مستجدة، فيفيد القاضي ابن عبد الرقيق (المتوفى 733 هـ) بضرورة إيقافها أو على الأقل درء ضررها سواء أكان قديماً أم حديثاً؛ لأن الضرر لا يمكن تبريره لقدمه أو لاستمراره، كما كان المحتسب يمنع الصباغين من وضع أفرانهم في الشوارع لما تبعثه من أدخنة تضايق المارة والسكان ". (أبو العلا، 2009).

والمتأمل لهذه الحالات التي ذكرت يتضح له مدى الوعي البيئي عند فقهاء المسلمين، ومدى حرصهم على حماية سكان المدن من أضرار التلوث بالدخان.

وجدير بالذكر أن أول حكم صدر لدفع أذى الدخان عن الناس في الإسلام كان في عهد سيدنا عمر بن الخطاب حين أمر بهدم كير الحداد الذي مر به في الطريق. (السامرائي، 2005، 245).

2- موقف الفقهاء من تلوث الهواء بالروائح الكريهة :

اهتم فقهاء المسلمين بحماية البيئة من التلوث بالروائح الكريهة، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزْلُنَا، أَوْ لْيَعْتَزَلْ مُسْجِدَنَا ". (البخاري، 2010، 1022).

فاذا كان على أكل الثوم أو البصل أن يبتعد عن المسجد كي لا يضايق إخوانه من المسلمين برائحة فمه، فإنه يكون من الأولى عدم السماح للروائح الكريهة من الانتشار في أجواء المدن وبين سكانها، كالروائح الناتجة عن حرق البلاستيك والأقمشة والروائح الناجمة عن العرق، ومن ذلك روائح البول وتحلل مياه المجاري وفساد الأطعمة، وروائح بعض الغازات والأبخرة مثل ثاني أكسيد الكبريت، كبريتيد الهيدروجين، والمنتجات البترولية.

وتحفل كتب الفقه الإسلامي بأمثلة كثيرة تدل على عناية فقهاء المسلمين بحماية الهواء من التلوث بالروائح الكريهة، فلقد سئل مطرف وابن الماجشون، وأصبغ - رحمهم الله - وهم من علماء المالكية، عن حكم شخص أقام مدبغة في بيته تنبعث منها الروائح الكريهة، فتؤذي جيرانه وتسبب لهم الضرر، فأجمع كل من الفقهاء الثلاثة على حق جيرانه في إيقافه، وحكموا بإغلاق مدبغته، ويتساوى في هذا الحكم حفر مرحاض أو مصرف غير مغطى، وكل ما ينبعث منه روائح كريهة، فقد أفاد ابن عتاب، وابن عبد الغفور بضرورة وقف هذه الأنشطة أو تغطيتها لمنع روائحها التي تزكم الأنوف من مضايقة الجيران، وكانت توكل إلى المحتسب مهمة مراقبة تلوث بيئة المدينة والأسواق من التلوث بالروائح، كما كان عليه أن يمنع كل من تسول له نفسه أن يطرح النفايات والجيف في الأسواق والطرقات، ويمنع الخضارين وغيرهم من طرح أربالهم في الطرق، حتى لا تنتج عنها روائح كريهة، وحتى لا تكون مرتعا للحشرات ومصدراً من مصادر التلوث. (أبو العلا، 2009).

أ- نهى الله تعالى عن رفع الصوت، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾. (لقمان، من الآية 18). في الآية أمر جازم عام بغض وخفض الصوت، والأمر بخفض الصوت يدل هنا على الندب المؤكد، لا مجرد الإرشاد، لوجود القرينة التي تستقبح رفع الصوت، وهي تشبيه الصوت المرتفع بصوت الحمير الذي لا تألفه الأذن السليمة، ومن هنا نستخلص أنه من آداب الإسلام ومنذوباته غض الصوت وعدم رفعه أو الجهر به لغير حاجة.

ب- وقد ورد أيضاً عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فَخَصَّنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ، فإذا عمر بن الخطاب يقول: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالاً من أهل الطائف، قال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البخاري، 2010، 102).

يدل الحديث على كراهة رفع الصوت عموماً واستقبح فعله، لما في ذلك من ذهاب بالسكون والهدوء وإضرار بحاسة السمع.

ج- قال تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. (الإسراء، من الآية 109).

وهذا توجيه وإن كان يخص الصلاة إلا أن مبتغاه وعلته تجعله ينصرف إلى كل أحوال الكلام والحديث الذي يجب أن يكون بقدر واعتدال بين الجهر والخفت.

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه في المسجد فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بالقراءة فكشف الستر وقال: "ألا إن كلكم مناج ربّه، فلا يُؤذِنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ" أو قال: "في الصلاة". (ابن الأشعث، 2010، 225).

خاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن الشريعة الإسلامية قد اهتمت بصحة المجتمع ووقايته من الأمراض وسعت إلى إصحاح البيئة، واعتبرت المحافظة على صحة البدن وحمايته من الأمراض، والمحافظة على سلامة البيئة، من الواجبات الدينية التي يثاب المسلم عليها في حالة التزامه بالتوجيهات الإلهية والنبوية في ذلك، ويعاقب في حالة تقصيره في الالتزام بهذه التوجيهات، ولا شك أن ربط ذلك بالعقيدة الإسلامية أدعى للالتزام بها للمؤمن الصادق أكثر من الالتزام بالقوانين الوضعية.

التوصيات والمقترحات:

من خلال العرض السابق يمكن تقديم التوصيات والمقترحات التالية:

1. تضمين محتوى مناهج التعليم منهجية الإسلام في المحافظة على صحة المجتمع ووقايته من الأمراض، وحماية البيئة.

والفسيلة هي النخلة الصغيرة، وهذا ما يعني أن غرس الأشجار وزرع النبات أمر مطلوب دينياً من المسلم حتى في آخر رمق من حياته، وحتى إذا تهدده خطر الموت وتأكد حلول الفناء له وللأرض، وذلك لأن غرس الأشجار هو من أعمال الخير التي يلزم أن يأتيه الإنسان لتكون في ميزان حسناته. كذلك الأمر في إمالة الأذى عن الطريق ولو برفع حجر فله أجر ففي الحديث الصحيح: "وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَيُحِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ". (البخاري، 2010، 548).

رابعاً: التلوث الضوضائي أو الصوتي:

1 - آيات الله في السكينة والهدوء:

من آيات الله الكونية اختلاف الليل والنهار وجعلهما متعاقبين يخلف أحدهما الآخر، وقد جعل الله الليل للنوم والخلود والراحة والسكون، والنهار للسعي وطلب الرزق يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. (النبا، الآيات 11، 10، 9).

وقد حضت السنة المشرفة على التزام السكينة والهدوء في كل شيء حتى في العبادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِذَا أَقِمْتَ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأَتُوهَا تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا". (النيسابوري، 2010، 195).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فَسَمِعَ النبي صلى الله عليه وسلم وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا لِلإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ "أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِضَاعِ". (البخاري، 2010، 306).

زجراً أي صياحاً لحث الإبل على السير. (بسوطه) قضيبه. (البر) الخير. (بالإضاع) هو حمل الدابة على إسراعها في السير.

فإذا كان الخالق العظيم قد هيا الليل للسكينة والهدوء لتستعيد الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان، نشاطها وحيويتها، وتستمر في عطائها وتعمّر الكون كما أراد الله، فهل حافظ الإنسان على تلك السكينة وذلك الهدوء؟ لا، بل إنه أتى من السلوك والأفعال ما يكسر صفاء ذلك السكون والهدوء، من خلال استخدام الآلات التي تنبعث عنها الأصوات العالية التي قلبت الليل إلى نهار فاختل نظام حياة الناس، وانعكس ذلك على أوضاعهم الصحية، وأضحت نعمة السكينة والهدوء في خطر بسبب تزايد معدلات الصوت والضجيج والضوضاء العالية، وهو خطر لا يهدد فقط بزوالها وإصابة الشخص بالصمم، بل كذلك بالتأثير في الجوانب الصحية الأخرى العصبية والقلبية. (أبو العلا، 2009).

2 - النهي عن رفع الصوت وإحداث الضوضاء:

14. حسين السعدي. حسين. (2008). علم البيئة. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
15. الخطيب. هشام. (2002). الإسلام والبيئة. عمان: دار قنديل للنشر والتوزيع.
16. السامرائي. مهدي. (2005). الحفاظ على البيئة في العصور العربية الإسلامية تشريعاً وتطبيقاً. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.
17. سعادة، جودت. وإبراهيم. عبد الله. (2004). المنهج المدرسي المعاصر. عمان: دار الفكر.
18. سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني. سليمان بن أحمد. (1983). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. عدد الأجزاء: 20. الموصل: مكتبة العلوم والحكم
19. شحاتة. حسن. (2002). تلوث البيئة. مدينة نصر: مكتبة الدار العربية للكتاب.
20. شعبان. زكي الدين. (1979). أصول الفقه الإسلامي. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس. كلية القانون.
21. العسقلاني. أحمد. (1995). التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
22. عمر التومي الشيباني، عمر. (1985). فلسفة التربية الإسلامية. (ط5). طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
23. مارديني. عبد الرحيم. (2007). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة. دمشق: دار المحبة.
24. محمد بن أبي بكر الرازي، محمد. (1976). مختار الصحاح. الهيئة المصرية للكتاب.
25. المفتاح. منصور. (2009). البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، من 26- 30 إبريل، 2009.
26. المليجي. إبراهيم. (2002). الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.
27. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. نور الدين. (1992). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الفكر.
28. النيسابوري. محمد بن عبد الله. (1990). صحيح مسلم. القاهرة: دار الفجر للتراث.

2. عقد الندوات والمؤتمرات التي تهتم بإبراز دور الإسلام في المحافظة على صحة المجتمع، ووقايته من الأمراض.
3. إجراء بحوث أخرى تتناول منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية لأفراد المجتمع.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، رواية قالون.
1. ابن الأشعث. سليمان. (2010). سنن أبي داود. القاهرة: دار الفجر للتراث.
2. ابن الملقن. سراج الدين. (2004). البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تحقيق مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وباسر كمال. الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.
3. ابن حنبل. أحمد. (2001). مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة.
4. ابن ماجه، محمد بن يزيد. (2009). سنن ابن ماجه. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد- محمد كامل قره بللي- عبد اللطيف حرز الله. دار الرسالة العالمية.
5. أبو العلا. عبد القاهر. (2009). البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي. بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، من 26- 30 إبريل، 2009.
6. أبو قندش. بشير أحمد. (2005). حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، منشورات المكتب الوطني للبحث والتطوير.
7. أبو يحيى. محمد. وآخرون. 200. الثقافة الإسلامية- ثقافة المسلم وتحديات العصر. دار المناهج للنشر والتوزيع.
8. أحمد شوقي إبراهيم. أحمد شوقي. (2002). المحرمات وصحة الإنسان والطب الوقائي. القاهرة: دار الفكر العربي.
9. أحمد. المبروك. (1992). تربية الأولاد والأبء في الإسلام. بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع.
10. أسعد. أمان محمد. (2008). الثقافة الصحية. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
11. الأصبهاني، أبو نعيم. (2006). الطب النبوي. تحقيق: مصطفى خضر التركي، عدد الأجزاء: 2، دار ابن حزم، 2006.
12. البخاري. محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري. بيروت: دار الكتب العلمية.
13. الترمذي. محمد بن عيسى. (1975). سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض (ج4، 5). القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.